ساعة وساعة

١

يا أبا عمير! مافعل النغير؟

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
1426هـ - 2005م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَفِي الطَّرِيقِ الجَمِيل

بَعْدَ انْتهاءِ امْتِحَانَاتِ الفَصْلِ الثَّاني خَرَجَ الأَصْدِقَاءُ إِلَى إِحْدَى المَزَارِعِ المُحِيطةِ بِالْمَدِيْنَةِ ، وَكَانَ هَدَفُ الرِّحْلَةِ التَّرفِيْهَ عَنِ النُّفُوسِ.

وَفي الطَّرِيقِ جَرَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاقَشَةٌ هَادِئَةٌ هَادِفَةٌ ، مُلَخَّصُها مَايَلِي:

قَالَ (فَتْحِي): لَقَدْ حَدَّثَنِي ابْنُ خَالَتِي الأُستَاذُ (عِكْرِمَةُ) عَنْ فِكْرَةٍ رَائِعَةٍ تَغِيْبُ عَنْ أَذهَانِ الْكثِيْرِيْنَ ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ

يَعْتَبِرُهَا خَارِجَةً عَنِ الشَّرِيْعَةِ الإِسْلامِيَّة!!
سَأَلَ (فَوْزِي): وَمَا هِيَ تِلْكَ الفِكْرَةُ يَا فَتْحِي؟!

أَجَابَ (فَتْحِي): يَظُنُّ الكَثِيرونَ أَنَّ المُسْلِمَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقى في الأُمُورِ الجَادَّة ، فلا يَجُوزُ لَهُ الضَّحِكُ ، وَلا يَحقُّ لَهُ المُزَاحَ وَلا اللَّعِبُ و... وَبِالتَّالِي فَمَا عَلَيْهِ إِلا أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ.. وَيُدارِسَ الفِقْهَ... وَيَحْفَظَ الأَحَادِيْثَ النَّبَوِيَّةَ...!!

وأَمَّا مَجَالاتُ المَرَحِ ... وَالفَرَحِ .. والتَّرْفِيْهِ... وَالتَّسْلِيَةِ؛ فَتِلْكَ أُمُورٌ سَيِّئَةٌ ، فيها تضييعٌ لِلْوقْتِ ، وما إلى هنالك...

لكنَّ رُوحَ الشَّرِيْعةِ الإِسْلامِيَّةِ يُوحِي بِعَكْسِ ذَلِكَ ، وَمَا أَكْثَرَ الأَدِلَّةَ النَّاطِقَةَ على تيسير الدِّيْنِ... وَمُوَافَقَتَهُ لِكُلِّ الأَذْوَاقِ...

وكُلِّ الأَزْمِنَةِ... وَالأَمْكِنَةِ...

تُحَدِّثُنَا السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّة أحَادِيْثَ تُؤَكِّدُ أَنَّ المُزَاحَ لَيْسَ أَمْرَاً مَكْرُوهاً.

قال أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: كَانْ ابْنٌ لأُمِّ سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ ، كَان النَّبِيُّ ﷺ رُبَّمَا مَازَحَهُ إِذَا دَخَل عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَدَخَل يَوْماً ، فَوَجَدَهُ حَزِيْناً ، فقال: «مَا لأبِيْ عُمَيْرٍ حَزِيْنٌ؟!»

قالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَاتَ نُغَيرُهُ؛ الذَّي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ!

فجعل النَّبِيُّ ﷺ يُقولُ: «أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَل النُّغَيْرُ؟».

...وَمِنْهَا مَا رَواهُ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا ـ قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلى

النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الجَنَّةَ.

فَقَال: «يَا أُمَّ فُلانٍ! إِنَّ الجَنَّةَ لاَ تَدْخُلُها عَجُوزٌ».

قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي.

فَقَالَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّها لا تَدْخُلُها وَهيَ عَجُوزٌ ، إِنَّ اللهَ تَعَالى يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾» [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧].

المُهِمُّ في المَسْأَلَةِ أَنْ يَكُوْنَ الضَّابِطُ لَهَا ـ كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ: كَانَ الرَّسُولُ ﷺ مَزَّاحاً ، وَكَان يَقُولُ: «إِنَّ الله لا يُؤَاخِذُ المزَّاحَ الصَّادِقَ فِي مُزَاحِهِ».

أَيْ: لا يَخْتَرِعُ وَيَكْذِبُ في المُزَاحِ ، بَلْ

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المُزَاحُ هَادِفاً ، وَهَادِئاً ، وَبَرِيْئاً ، وَصَادِقاً.

قَالَ (فَادِي): وَلا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعِيْشَ الحَيَاةَ وَهُوَ عَابِسٌ مُقَطِّبُ الحَاجِبَيْنِ ، كَمَنْ وَضَعَ عَلَى عَيْنَيْهِ نَظَّارَتَيْنِ سَوْدَاوَتَيْنِ ، فلا يَرَى مِنْ خِلالِهِمَا إلاَّ السَّواد.

وَلِذَلِكَ جَاءَ في تَوْصِيَاتِ الرَّسُولِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ: «يَا حَنْظَلَةُ! سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ».

وَيجبُ تَخْصِيصُ جُزْءٍ مِنْ الوَقْتِ لِلدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلى الأَوْلاَدِ ، وَالمَرْأَةِ ، وَالجِسْمِ ، وَالرُّوحِ ، وَالأَصْدِقَاءِ ، وَالعِبَاداتِ وَمَا إِلى هُنَالِكَ ، فَسَاعَةٌ لأَدَاءِ الحقِّ العَامِّ ، وَسَاعَةٌ لأَدَاء الحقِّ الخَاصِّ ،

وَسَاعَةٌ لأُمُورِ الدِّين ، وَأُخْرَى لأُمُورِ الدُّنْيَا .

تَحْتَ شَجَرةِ التُّوتِ

...وَلَمَّا وَصلُوا إلى المَزْرَعَةِ الجَمِيْلَةِ؛ جَلَسُوا تَحْتَ شَجَرَةِ التُّوتِ الكَبِيْرَةِ ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمْ بَعْضُ المُنَاقَشاتِ القَيِّمَةِ:

قَالَ (فَارِسٌ): إِذَا كَانَتِ المَسْأَلةُ كَذَلِكَ ، فَتَعَالوْا نَحْكِيْ بَعْضَ الحِكَايَاتِ ، وَنَرْوِي بَعْضَ النَّوادِرِ وَالنِّكَاتِ ، عَسى أَنْ نَسْتَمْتِعَ بَعْدَ جُهْدِ التَّحْضِيْرِ للامْتِحَانَاتِ!! وَوَافَقَ الأَصْدِقَاءُ عَلَى الفِكْرَةِ المُمْتِعَةِ ، وَبَدَأَ (فَارِسٌ) كَلامَهُ قَائِلاً: كَانَ جَمَاْعَةٌ عِنْدَ (الشَّعْبِيِّ) جُلُوْساً ، فمرَّ حَمَّالٌ عَلَى ظَهْرِهِ

دنٌّ خَلٍّ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّعْبِيَّ وَضَع الدَّنَّ ، وَقَالَ لِلشَّعْبِيّ: مَا كَانَ اسْمُ امْرأَةِ إِبْلِيْسَ؟ قَالَ الشَّعْبِيُّ: ذَاكَ زَوَاجٌ مَا شَهِدْنَاهُ!!!

...وَضَحِكَ الأصْدِقَاءُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالُوا لِفَادِي: هَاْتِ مَا عِنْدَكَ يَا صَدِيْقي؟ فَقَالَ (فَادِيْ): أُرِيْدُ أَنْ أُحَدّثَكُمْ عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْ نَوَادِرِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ.

كان (نُعَيْمَان) مِنَ الصَّحَابَةِ وَممَّنْ شَهِدَ بَدرَاً ، وَكَانَ كَثِيْرَ العَبَثِ ، فَمَرَّ بِمَخرَمَةَ ابْنِ نَوْفَل الزُّهْرِيّ ـ وَهُوَ ضَرِيْرٌ ـ فَقَالَ لَهُ: قُدْنِي حتَّى أَبُوْلَ.

فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُؤَخَّرِ المَسْجِدِ ، قَالَ: اجْلِسْ.

فَجَلَسَ يَبُوْلُ ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ يَقُوْلُوْنَ:

يَا أَبَا المِسْوَرِ إِنَّكَ في المَسْجِدِ.

فَقَال: مَنْ قَادَنِيْ؟

قَالُوا: نُعَيْمَانُ.

قَالَ: للهِ عَلَيَّ أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَاتي إِنْ وَجَدْتُه.

فَبَلَغَ ذَلِكَ نُعَيْمَانُ ، فَجَاءَ يَوْمَاً ، فَقَالَ: يَا أَبَا المِسوَرِ ! هَلْ لَكَ فِيْ نُعَيْمَانَ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قَالَ: هُوَ ذَا يُصَلِّي ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَجَاءَ بِهِ إِلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضيَ الله عنه - وهو يُصَلِّي ، وَقَالَ: هَذَا نُعَيْمَانُ!

فَعَلاهُ (مَخْرَمَةُ) بِعَصَاهُ ، وَصَاحَ النَّاسُ: ضَرَبْتَ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ!!

فَقَالَ: مَنْ قَادَنِي؟

قَالُوا: نُعَيْمَانُ.

فَقَالَ: لا جَرَمَ إِنْ عَرَضْتُ لَهُ بِشَرٍّ أَبَدَاً...!

وَأَثْنَاءَ تَحْضِيْرِ الطَّعَامِ!!!

وَأَثْنَاءَ تَحْضِيْرِ الطَّعَامِ أَرَادَ الشَّبَابُ أَنْ تَكُوْنَ التَّسْلِيَةُ ذَاتَ فَائِدَةٍ. فَقَالَ (فَوْزِي): اسْتَمِعُوا إِلى مَا حَدَثَ مَعَ الأَعْمَشِ ذَاتَ لَيْلَةٍ:

كَانَ قَاعِداً في نَاحِيَةٍ ، وَفِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى جَلَسَ جَمَاْعَةٌ ، وَكَاْنَ في المَوْضِعِ مُسْتَنْقَعٌ مِنْ مَاءِ المَطَرِ.

فَجَاءَ رَجُلٌ يَرْتَدِي ثِيَاباً سُوْدَاً ، فَلَمَّا بَصُر بالأَعْمَشِ؛ وَعَلَيْهِ فَرْوَةٌ حَقِيْرَةٌ؛ قَالَ: قُمْ وَاعْبُرْ بيَ المَاءَ ، وَجَذَبَهُ بِيَدِهِ ، فَأَقَامَهُ وَرَكِبَهُ ، وَقَالَ: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا

كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٣] فَمَضَى بِهِ الأَعْمَشُ حَتَّى توسَّط المُسْتَنْقَعَ، ثمَّ رَمَى بِهِ، وَقَالَ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩] ثُمَّ خَرَجَ، وَتَرَكَهُ يَتَخَبَّطُ في المَاءِ!!

فَقَالَ (فَتْحي): وَهُنَاْكَ حِكَايَاتٌ فِيْها عِبَرٌ وَعِظَاتٌ، وَهَي تَسْلِيَةٌ هَادِفَةٌ، مِنْ ذَلِكَ مَاْ قَرَأْتُهُ بِالأَمْسِ:

قِيْلَ لِطُفَيْلِيٍّ: أَيُّ سُوْرَةٍ تُعْجِبُكَ مِنَ القُرْآنِ؟

قَالَ: المَائِدَةُ!

قِيْلَ لَهُ: فَأيُّ آيَةٍ؟

قَال: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ [الحجر: ٣].

فَقَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟

قال: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [الكهف: ٦٢].

قَالُوا: ثُمَّ مَاذَا؟

قَالَ: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

فَقِيْلَ: ثُمَّ مَاذَا؟

قَالَ: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨].

وَصَايَا... لَكِنْ مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ!!

... وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَ الأَصْدِقَاءُ الطَّعَامَ؛ اسْتَرَاحُوا قَلِيْلاً ، وَنَامُوا نَوْمَةَ القَيْلُولَةِ ، ثُمَّ قَامُوا إِلى بِرْكَةِ المَاءِ ، فَسَبَحُوا... وَلَعِبُوا... وَاسْتَلقوا قَلِيْلاً فِي الشَّمْسِ ، ثُمَّ سَارُوا تَحتَ ظِلالِ الأَشْجَارِ ، وَاستَمْتَعُوا بِأَصْوَاتِ

الطُّيُورِ ، وَامْتَلأتْ قُلُوبُهُمْ إِعْجَاباً بِأَلْوَانِ الزُّهُورِ ، والوُرُوْدِ ، وَبِجَمَالِهَا..

وَعِنْـد المَغِيْـبِ جَلَسـوا قُـرْبَ النَّبْـعِ ، وَرَاحُوا يَشْرَبُونَ الشَّايَ ، فَقَالَ (فَتْحِي): مَنْ سَيُحَدِّثُنَا بِطُرْفَةٍ ، أَوْ حِكَايَةٍ يَحْفَظُهَا؟

فَقَالَ (فَارِسٌ): اسْتَمِعُوا إِلى هَذِهِ الطُّرْفَةِ الرَّائِعَةِ:

قَالَ رَجُلٌ لِبَنَان الطُّفَيْلِيِّ: أَوْصِني!

فَقَالْ بَنَانُ: لا تُصَادِفَنَّ مِنَ الطَّعَامِ شَيْئاً فَترْفَعَ يَدَكَ عَنْهُ ، وَيَقُولُ: لَعَلِّي أُصادِفُ مَا هُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ! فإِنَّ هَذَا عَجْزٌ ، وَوَهَنٌ!

فَقَالَ الرَّجُلُ: زِدْنِي يَا هذَا!

قَـالَ: إِذَا وَجَـدْتَ خُبْـزَاً فِيْـهِ قِلَّـةٌ؛ فَكُـلِ الحُروفَ ، فَإِنْ كَانَ كَثيراً فَكُلِ الأَوْساطَ!!

قَالَ: زِدْنِي رَحِمَكَ اللهُ!

قَالَ: لا تُكْثِرَنَّ شُرْبَ المَاءِ؛ وَأَنْتَ تَأْكُلُ؛ فَإِنَّهُ يَصُدُّكَ عَنِ الأَكْلِ ، وَيَمْنَعُكَ أَنْ تَسْتَوْفِي!!

قَالَ: زِدْنِيْ يَا هَذا!

فَقَالَ: إِذَا وَجَدْتَ الطَّعَامَ؛ فَكُلْ مِنْهُ أَكْلَ مَنْ لَمْ يَرَهُ قَطُّ ، وَتَزَوَّدْ مِنْهُ زَادَ مَنْ لا يَرَاهُ أَبَداً!!

قَالَ الرَّجُلُ: زِدْنِيْ!

فَقَالَ بَنَانُ: إِذَا وَجَدْتَ الطَّعَامَ؛ فَاجْعَلْهُ زَادَكَ إِلى اللهِ!!!

وَضَحِكَ الأَصْدِقَاءُ ضِحْكاً كَثِيْراً... وَتَنَاقَشُوا حَوْلَ فَوَائِدِ الخُروجِ مِنْ أَمَاكِنِ الازْدِحَامِ في الْمُدُنِ ، وَأَكَّدُوا عَلَى ضَرُورَةِ اللُّجُوءِ إِلى أَحْضَانِ الطَّبِيْعَةِ و...

ثُمَّ... وَفي طَرِيْقِ الْعَوْدَةِ تَعَاهَدُوا عَلَى التَّحْضِيْرِ لأَمْثَالِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُمْتِعَةِ ، وفي أَقْرَبِ وَقتٍ مُمْكِنٍ.

وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ.

* * *